سيمفونية الإدراك وسؤال «مولينو» المُحير!

Symphony of Perception and Molyneux's Question

دكتور/ صلاح عثمان (أستاذ المنطق وفلسفة العلم – رئيس قسم الفلسفة – كلية الآداب – جامعة المنوفية – جمهورية مصر العربية)

Salah Osman

(Menoufia University, Egypt)

salah.mohamed@art.menofia.edu.eg

DOI: 10.13140/RG.2.2.26421.60645

مقال منشور بموقع أكاديمية بالعقل نبدأ بتاريخ ٢٤ أغسطس ٢٠٢٠

With Mind We Start Academy, 2021, October 11.

ماذا يحدث إذا أبصر الأعمى فجأة، هل سيتخلص فورًا من «عُكازه»؟ أو بعبارة أخرى، هل سيُدرك بالرؤية ما كان يدركه باللمس (عُكازه) بحيث يستطيع تمييزه من بين كافة الأشياء، وتحديد هويته، وبناء خبرة حسية تُطابق بين الجسم الملموس والجسم المرئي؟ تلك هي المشكلة التي حيرت الفكر الفلسفي لبضعة قرون، وشغلت – وما زالت تشغل – حيزًا هامًا من مناقشات علماء النفس وطب العيون والفسيولوجيا العصبية في عالمنا المعاصر.

عُرفت المشكلة تاريخيًا باسم «مشكلة مولينو» Molyneux's problem، وهي بمثابة تجربة فكرية في الفلسفة تتعلق بالشفاء الفوري من العمى، صاغها للمرة الأولى فيلسوف الطبيعة الأيرلندي «وليام مولينو» William Molyneux (١٦٥٨ – ١٦٩٨) في القرن السابع عشر (حيث كانت زوجته عمياء) في صورة سؤال طرحه على الفيلسوف الانجليزي «جون لوك» John Locke (١٦٣٢ – ١٧٠٤)، واهتم بها الأخير في كتابه «*مقال في الفهم الإنساني*» *An Essay Concerning Human Understanding* (١٦٨٩)، ويمكن إيجاز المشكلة على النحو التالي:

لنفرض أن رجلاً قد وُلد أعمى، وقد بلغ الآن سن الرشد، وتعلم كيف يميز بين جسم مكعب وآخر كروي من المعدن ذاته عن طريق اللمس، ولنفرض أنه قد رُد إليه بصره فجأة، فهل يستطيع التمييز بين هذين الجسمين بالنظر فقط، ودون اللجوء إلى اللمس، استنادًا إلى الخبرة اللمسية التي تمتع بها من قبل بالفعل؟

أجاب «مولينو» بالنفي، مؤكدًا أن خبرة اللمس تختلف تمامًا عن خبرة النظر. أما «جون لوك» فقد رد على «مولينو» قائلاً: «أتفق مع هذا السيد المُفكر، الذي أفخر بصداقته، في إجابته عن السؤال؛ وأرى أن الرجل الأعمى لن يتمكن من النظرة الأولى أن يُحدد أيهما الجسم المكعب وأيهما الجسم الكروي، اللهم إلا إن مرَّر أصابعه عليهما مسترجعًا خبرة اللمس».

ثمة مشكلة مماثلة أثارها «ابن طفيل» (١١٠٥ – ١١٨٥) إبان القرن الثاني عشر في روايته الفلسفية «حي بن يقظان»، وإن كان قد استخدم الألوان بدلاً من الأشكال؛ فالشخص الأعمى لا يعرف الألوان إلا بأسمائها، في معية تعريفات نوعية لتحديدها، فهل بإمكانه إذا أبصر فجأة أن يُميز بين الألوان استنادًا إلى الأوصاف التي أعطيت له من قبل؟

في استجابته لهذه المشكلة، ذهب الفيلسوف الأيرلندي «جورج باركلي» George Berkeley (١٦٨٥ – ١٧٥٣) في مقاله «نظرية جديدة في الإبصار» A New Theory of Vision (١٧٠٩) إلى أنه لا توجد علاقة ضرورية بين عالم اللمس وعالم الإبصار، ولا ينشأ الربط بينهما إلا على أساس الخبرة فقط.

أما في العلم الحديث، فلعل أحد الأسباب التي تعوق الفحص التجريبي لمشكلة «مولينو» هو الندرة الشديد في عدد البشر الذين تمكنوا من الرؤية بعد سنوات من العمى الخُلقي؛ وقد قدَّر عالم النفس الإيطالي «ألبرتو فالفو» Alberto Valvo عدد الذين استردوا أبصارهم بعد علاج المعوقات الخُلقية بأقل من عشرين حالة خلال الألف سنة الماضية. كذلك درس عالم بيولوجيا الأعصاب الأمريكي «يوري أوستروفسكي» Yuri Ostrovsky وآخرون حالة فتاة وُلدت عمياء واستردت بصرها في الثانية عشرة من عمرها بعد عملية جراحية، وأفادوا في تقريرهم بأنها استطاعت التعرف على أعضاء أسرتها من خلال البصر فقط بعد ستة شهور من إجراء الجراحة، بينما استغرق تعرفها على الأشياء المنزلية بالرؤية ما يقرب من سنة.

وفي سنة ٢٠٠٣، قام «باوان سينها» Pawan Sinha، أستاذ الرؤية وعلم الأعصاب الحاسوبي بمعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، بوضع برنامج لبحث الموضوع ذاته، وأتيحت له الفرصة في نهاية المطاف للعثور على خمسة أفراد استوفوا متطلبات تجربة تهدف إلى الإجابة عن سؤال «مولينو» تجريبيًا. وقبل العلاج، كان هؤلاء الأشخاص (الذين تتراوح أعمارهم بين ثمانية سنوات وسبعة عشر سنة) قادرين على التمييز بين الضوء والظلام فقط، وأجريت العلاجات الجراحية الناجحة فيما بين سنة ٢٠٠٧ وسنة ٢٠١٠، ليخضعوا جميعًا لاختبار مُصمَّم لكل منهم بعناية بعد ثمانية وأربعين ساعة من استردادهم لقدرتهم على الرؤية الكاملة، ووفقًا لنتائج هذا الاختبار خلص «سينها» إلى أن الإجابة عن سؤال «مولينو» هي باختصار: «لا»؛ فقد اتضح أنهم غير قادرين على الربط بين إدراك موضوع ما عن طريق حاسة اللمس وإدراكه عن طريق حاسة

البصـر! ولم تكن لديهم القدرة على نقل المعرفة المستقاة من حاسـة اللمس إلى المجال البصـري. ومع ذلك، تمكن المجربون من إخضـــاع ثلاثة من الأفراد الخمســـة لاختبارات أخرى في تواريخ لاحقة، وتبين وجود تحسن ملحوظ في الربط بين حاستي اللمس والبصر، بلغت نسبته من ٨٠% إلى ٩٠%.

الشاهد حتى الآن هو صعوبة الإجابة عن سؤال «مولينو» بشكلٍ قاطع، فالإدراك ليس مجرد خبرة حسـية ذات بُعد واحد؛ صـحيح أن حواسـنا قد تكون متمايزة حين تعمل، وأن بعضـها بمثابة بوابات للأبعاد المكانية (كاللمس)، وبعضـــها الآخر بمثابة بوابات للأبعاد غير المكانية (كالإبصـــار)، لكنها جميعًا تتفاعل بطريقة مُعقدة لإنتاج تجاربنا الحية. أضـــف إلى ذلك أن ثمة أحاسيس تنبع من داخلنا، تُعرف باسم «الأحاسيس العميقة»، منها مثلاً أنك إن أغمضت عينيك للحظة فسوف تكون على دراية بمكان كل طرف من أطرافك دون النظر إليه أو لمسه؛ وإذا أقدمت على رفع صندوق به أشياء تعرف أنها ثقيلة، لكن شخصًا ما قد أفرغه من هذه الأشياء دون أن يُخبرك، فقد يؤدي رد الفعل إلى تطاير الصـندوق وطرحك أرضًـا، لأن ثمة إحسـاس لديك بالجُهد اللازم لرفع شيء ما من مكانه!

وعلى الإجمال، تظل مشـكلة الوعي والإدراك من أعقد وأهم المشـكلات، ليس فقط في تاريخ الفلسفة، وإنما في كثرة من أدبيات العلم والفن والدين ... ماذا إذن عمن يُشوه، وعمن يتخلى عن، تلك النعمة التي حبانا الله بها، تحت وطأة جهالات المصالح والأيديولوجيات؟!

***

- **توثيق المقال بنظام APA:**

عثمان، صلاح (١١ أكتوبر ٢٠٢١). « سيمفونية الإدراك وسؤال مولينو المُحير». أكاديمية بالعقل نبدأ، القاهرة. تم الاسترداد بتاريخ ٢٣ نوفمبر ٢٠٢١ من:

https://mashroo3na.com/إصدارات/مقالات/سيمفونية-الإدراك-وسؤال-مولينو-المُ/

APA Citation:

Osman, S. (عثمان، ص) (2021, October 11). Symphony of Perception and Molyneux's Question (سـيمفونية الإدراك وسـؤال مولينو المُحير). With Mind We Start Academy Retrieved November 23, 2021, from https://mashroo3na.com/إصدارات/مقالات/سيمفونية-الإدراك-وسؤال-مولينو-المُ/

***